﴿سورة قريش﴾

وفيها أربع مسائل :

المسألة الأولى: ما معنى الإيلاف فى قوله تعالى: ﴿لِإِيلافِ قُرَيْشٍ(١) إِيلافِهِمْ﴾؟

والجواب: الإيلاف إما أن يكون مأخوذ من (إلاف) بمعنى العهد والأمان وهو مصدر من آلفه بمعنى ألفه لأن في العهد أُلفة واجتماع كلمة، ويقال له أيضاً إلف وإلاف، ويكون معنى ﴿**لِإِيلافِ قُرَيْشٍ (١)**﴾ أى العهود التي كانوا يأخذونها إذا خرجوا في التجارات فيأمنون بها، وكانت قريش قد عظمت فى قلوب العرب ووقعت هيبتها فى نفوسهم بعدما أهلك الله أبرهة وجيشه ودافع عن بيته وحرمه، فكانت العرب تقول عن قريش أنهم أهل الله وساكنو حَرمه، وكانت قوافل قريش تسير فى بلاد العرب لا يعترضها معترض ولا يغير عليها مغير، ولذا وقعت السورة فى المصحف بعد سورة الفيل التى أوردت قصة هلاك أبرهة ليكون إنعام الله ﷻ على قريش متصل فى السورتين، فبهلاك أبرهة ارتفعت مكانة قريش وهابها الناس فكان إيلافهم وأمنهم على تجارتهم، وكان أول من أخذ العهود والأمان لتجارات قريش هو هاشم بن عبد مناف أبو عبد المطلب جد النبى محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ﷺ (فالإيلاف: الحبل؛ أي العهد الذي أخذه هاشم بن عبد مناف من قيصر – ملك الروم – وأشراف أحياء العرب لقومه بأَلاّ يتُعَرض لهم في مجُتازاتهم ومسالكهم في رحلتهم) [1]، وهذه منة عظيمة امتن الله ﷻ بها على قريش أن مكنَّ لهم وآمنهم فى بلادهم وتجاراتهم لمجاورتهم بيته وسكناهم لحرمه ولذا قال ربنا: ﴿**فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣)**﴾ فلولا البيت لتخطف الناس تجارتهم وانتهكوا حرماتهم وسلبوا أموالهم، قال ﷻ: ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً**

(١) الفائق فى غريب الحديث، محمود بن عمر الزمخشرى، ٥٣/١، دار المعرفة – لبنان، ط٢ .

آمِناً وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [1] .

وقد يكون الإيلاف مأخوذ من أَلِف الشئ يألفه أى اعتاد عليه وصار له عادة، وهى منة امتن الله ﷻ بها على قريش إذ كانوا أصحاب تجارة يطوفون بها فى أرجاء جزيرة العرب فلا يعترضهم أحد حتى اعتادوا السفر بأمان وصارت التجارة فى الصيف والشتاء لهم إلف وعادة لا ينقطعون عنها ولا يحملون لها هماً، فاتسعت تجارتهم وكثرت أموالهم وارتفعت مكانتهم بإنعام الله ﷻ عليهم لمجاورتهم بيته وسكناهم حرمه .

المسألة الثانية: ما أصل كلمة قريش ؟

والجواب: قال أهل اللغة فى أصل كلمة قريش وسبب تسمية القبيلة بهذا الاسم أقوالاً، منها :

- أنها من (تَقَرَّش القوم أى اجتمعوا، وقد سميت قريش بذلك لتقرشها أى تجمعها إلى مكةمن حواليها بعد تفرقها فى البلاد حين غلب عليها قصى بن كلاب، وبه سُمى قصى مُجَمِّعاً.

- وقيل سميت قريش بهذا الاسم نسبة إلى قريش بن مَخْلَد بن غالب بن فهر كان صاحب عيرهم فكانوا يقولون قدِمَت عيرُ قُرَيش وخرجت عير قريش) [2]حتى غلب عليها هذا الاسم فسُمُوا به.

- وقيل سميت بذلك لأَنهم كانوا أَهلَ تجارة ولم يكونوا أَصحابَ ضَرْع وزرْع من قولهم فلان يَتَقَرَّشُ المالَ أَي يَجْمَعُه .

- أقول: ومن أطرف ما قرأت فى أصل تسميتها قريشاً بأنها مأخوذة من القِرش وهى السمكة المفترسة فى البحر التى يهابها الناس ، قال ابن منظور: (وهى دابةٌ في البحر لا تدَع دابةً إِلا أَكلتها فجميع الدواب تخافُها)[3]، وقد سُميت قريش من القِرش المعروف لهيبة العرب لها وتغلبها عليهم .

---

(١) سورة العنكبوت / من الآية ٦٧ .

(٢) لسان العرب ٣٣٤/٦

(٣) المرجع السابق ٣٣٤/٦

المسألة الثالثة: لم قال ربنا : ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣)﴾ ولم يقل رب الناس أو رب الكون أو أى وصف آخر؟

والجواب: لبيان مكانة هذا البيت وأن إنعام الله ﷻ عليهم مرتبط بمقامهم بجواره، فلولا البيت الحرام لاجترأ الناس عليهم ومما يؤكد هذا ويدل عليه قوله تعالى: **﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً آمِناً وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ** (١)**﴾** .

المسألة الرابعة : لم قدَّم ربنا ذكر الإطعام من الجوع على الأمن من الخوف فى قوله: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (٤)﴾ ؟

والجواب:إن السورة لما ذكرت رحلة الشتاء والصيف وهى تجارة قريش فى الشتاء إلى الشام، وفى الصيف إلى اليمن وأن أغلب تجاراتهم كانت طعاماً فناسب ذلك تقديم ذكر **﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ﴾** على **﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾** .

كما ناسب تقدم ذكر الشتاء على الصيف مع تقدم ذكر الإطعام على الأمن لما فى الشتاء من برد شديد استلزم أن تكون حاجة الإنسان إلى الطعام فى الشتاء أكثر منه فى الصيف، أما الصيف ففيه يكثر الخوف من قطاع الطرق والهوام والزواحف فكانت حاجة الإنسان فيه إلى الأمن أكثر، فناسب هذا الترتيب والتناسق بين الشتاء والصيف تقدَّم الإطعام على الأمن ... والله أعلى وأعلم .

---

(١) سورة العنكبوت / من الآية ٦٧ .